بسم الله الرحمن الرحيم

لا مرحبا بالعريفي

نظمها : أبو قُدامة المصري عفا الله عنه

لا مَرْحَبًا بِالْعَرِيفِي[1] ... فِي حِضْنِ مِصْرَ الشَّرِيفِ
دَاعٍ مُضِلٍّ كَذُوبٍ ... لَٰكِنْ بِوَجْهٍ ظَرِيفِ
يَدْعُو لِفِكْرٍ مُرِيبٍ ... لَٰكِنْ بِلَفْظٍ لَطِيفِ
فِكْرِ (ابْنِ قُطْبٍ) وَ(بَنَّا) ... مِنْ تَحْتِ ثَوْبٍ خَفِيفِ
فِكْرٍ سَقِيمٍ عَقِيمٍ ... - دَوْمًا - خَطِيرٍ عَنِيفِ
بَاغٍ خَبِيثٍ مُنَافٍ ... - قَطْعًا - لِشَرْعٍ حَنِيفِ[2]
فَالْغَايَةُ الْمُلْكُ حَتَّىٰ ... لَوْ ضَاعَ دِينُ الرَّؤُوفِ
لا بَأْسَ لَوْ حَلَّ كَرْبٌ ... فَازْدَادَ سُوءُ الظُّرُوفِ
أَوْ شَاعَ هَرْجٌ[3] وَفَوْضَىٰ ... فَازْدَادَ عَدُّ الْحُتُوفِ[4]
كُلٌّ يَهُونُ - اخْتِصَارًا - ... مَا دَامَ عِزُّ الْخُلُوفِ[5]
خُوَّانُ مِصْرَ اسْتَرَاحُوا ... بَعْدَ اشْتِدَادِ النَّزِيفِ؟
أَمْ يَزْعُمُونَ اسْتِيَاءً ... لَٰكِنْ بِصَوْتٍ ضَعِيفِ؟
بَلْ ظَنُّهُمْ زَادَ سُوءًا ... فِي شَعْبِ مِصْرَ الْحَصِيفِ[6]
فَاسْتَوْرَدُوا مِنْ خَلِيجٍ ... أَشْيَاخَ حِزْبٍ حَلِيفِ
أَنْ ذَكِّرُوهُمْ بِشَيْءٍ ... مِنْ مَجْدِ مِصْرَ الْمُنِيفِ[7]
مَنْ قَالَ أَنَّا نَسِينَا ؟! ... يَا لَلْمُزَاحِ السَّخِيفِ !!
مَنْ ظَنَّ أَنَّا غَفَلْنَا ... عَنْ قَدْرِهَا يَا عَرِيفِي
فَهْوَ الْغَفُولُ الْمُعَمَّىٰ ... عَنْ كُلِّ طَبْعٍ شَرِيفِ
لَمَّا تَنَاسَىٰ جَحُودٌ ... أَفْضَالَ أُمٍّ عَطُوفِ
أَلْقَىٰ عَلَىٰ كُلِّ بَرٍّ ... جُرْمًا صَرِيحَ الزُّيُوفِ
هَٰذَا خِدَاعٌ رَخِيصٌ ... مِنْ كَيْدِ عَقْلٍ ضَعِيفِ
هَٰذَا ابْتِذَالٌ[8] مُهِينٌ ... عَارٌ بِمِعْنَى الْحُرُوفِ
يَأْبَاهُ إِلَّا مُحِبِّي ... خُوَّانِ مِصْرَ الْخُلُوفِ
فَلْيَفْرَحُوا بِامْتِهَانٍ[8] ... وَلْيَسْتَضِيفُوا الْعَرِيفِي
يَأْتِي إِلَيْهِمْ خَطِيبًا ... وَسْطَ الْحُضُورِ الْكَثِيفِ
فِي جَامِعٍ لِلصَّحَابِي ... (عَمْرٍو) شَرِيفِ الْكُفُوفِ
رَغْمَ اتِّهَامِ (ابْنِ قُطْبٍ) ... (عَمْرًا) بِشَرِّ الصُّنُوفِ[9]
حِقْدًا عَلَىٰ نَشْرِ (عَمْرٍو) ... فِي مِصْرَ دِينَ الرَّؤُوفِ؟!
أَمْ أَنَّ جَهْلاً عَمَاهُ ... عَنْ فَضْلِ ذَاكَ الْحَصِيفِ[6]؟!
أَمْ أَنَّ وَحْيًا أَتَاهُ ... فَانْسَاقَ خَلْفَ الطُّيُوفِ[10]؟!
تَبًّا لِحِقْدٍ دَفِينٍ ... فِي جَوْفِ قَلْبٍ كَفِيفِ !!
أَعَمَاهُ جَهْلٌ فَظِيعٌ ... مَعْ سُوءِ ظَنٍّ عَنِيفِ
هَٰذَا ضَلالٌ مُبِينٌ ... عُذْنَا بِرَبٍّ لَطِيفِ
عُذْنَا بِرَبٍّ حَفِيظٍ ... مِنْ شَرِّ تِلْكَ الصُّنُوفِ
مِنْ شَرِّ ضَيْفٍ أَتَانَا ... يَدْعُو لِنَهْجِ الْخُلُوفِ[5]
فَلْيَحْتَرِسْ كُلُّ مِصْرِي ... مِنْ عَائِضٍ وَالْعَرِيفِي
جَاءَا إِلَيْنَا بِأَمْرٍ ... مِنْ مُرْشِدٍ مُسْتَضِيفِ
كَيْ يُصْلِحَا مَا جَنَاهُ ... أَبْنَاءُ حِزْبٍ سَخِيفِ
مِنْ بَعْدِ إِسْقَاطِ قَتْلَىٰ ... أَثْنَاءَ فَصْلِ الْخَرِيفِ
فَاسْتُقْدِمَا كَيْ يُزِيلا ... لَوْنَ الدِّمَاءِ الْمُخِيفِ
قَبْلَ انْتِخَابَاتِ شَعْبٍ ... فِي بَرْلَمَانِ الْكَنِيفِ[11]
كَيْ يَضْمَنُوا لِلْكَرَاسِي ... حَصْدًا بِشَكْلٍ كَثِيفِ
فَلْيَخْدَعُوا مِنْ جَدِيدٍ ... أَهْلَيْ صَعِيدٍ وَرِيفِ
إِذْ يَسْتَغِلُّونَ فَقْرًا ... لِلزَّيْتِ أَوْ لِلرَّغِيفِ
بَعْدَ انْتِهَاءِ انْتِخَابٍ ... يَنْسَوْنَ حَقَّ الضَّعِيفِ
فَلْيَهْنَؤُوا بِاحْتِفَالٍ ... وَلْيَضْرِبُوا بِالدُّفُوفِ

---

(١) بفتح العين وكسر الراء بلا تشديد. (٢) حَنِيف: مستقيم بلا عِوَج. (٣) الهَرْج: كثرة القتل. (٤) الحُتُوف: جمع حَتْف ، وهو الهلاك. (٥) الخُلوف: جمع خَلْف ومن معانيه: الولد الطالح ، ومَحْبِس الدَّواب خلف البيت ، والقَرْن يأتي بعد القرن . والمراد به في القصيدة: أهلُ البدع والأهواء الذين حادوا عن سبيل السلف الصالح. (٦) الحصِيف: الذكي الحكيم الأريب. (٧) المُنِيف: العالي الشامخ المشرف. (٨) الابْتِذال = الامْتِهان: الاحتقار والإذلال. (٩) اتَّهَمه بالكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم!! [كتب وشخصيات ص٢٤٢]. (١٠) الطيُوف: جمع طَيْف ، وهو الخيال الطائف وما يراه النائم. (١١) الكَنِيف : هو المِرحاض.

وَلْيَرْقُصُوا فِي ابْتِهَاجٍ   أَوْ يَذْهَبُوا لِلْمَصِيفِ
وَالنَّاسُ فِي الهَمِّ تَبْكِي   مِنْ قَطْعِ دَعْمٍ طَفِيفِ
أَوْ رَفْعِ سِعْرٍ مُرِيعٍ   أَوْ فَقْدِ مَاءٍ نَظِيفِ
أَوْ مِنْ كَسَادِ اقْتِصَادٍ   أَوْ مِنْ عَدُوٍّ مُخِيفِ
بَلْ زَادَ إِهْمَالُ قَوْمٍ   مِنْ حُزْنِ شَعْبٍ أَسِيفِ
إِذْ مَاتَ خَمْسُونَ طِفْلاً   إِثْرَ اصْطِدَامٍ عَنِيفِ
نَاهِيكَ عَنْ فَقْدِ أَمْنٍ   قَدْ زَادَ سُوءَ الظُّرُوفِ
حَتَّى اسْتَوَىٰ كُلُّ عَيْشٍ   بِالدُّورِ أَوْ بِالْكُهُوفِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ قَتِيلٌ   أَوْ غَصْبُ عِرْضٍ عَفِيفِ
بَلْ مُنْذُ إِشْعَالِ فَوْضَىٰ   قُلْ مُحْصِيًا بِالأُلُوفِ
فَالْقَتْلُ قَدْ صَارَ سَهْلاً   بِالطَّلْقِ أَوْ بِالسُّيُوفِ
وَالْمَرْءُ قَدْ بَاتَ يَرْجُو   مَوْتًا بِحَتْفِ الأُنُوفِ[١٢]
إن لَّمْ يَمُتْ إِثْرَ بُؤْسٍ   يَرْبُو[١٣] بِشَكْلٍ مُخِيفِ
بَلْ زَادَ غَمًّا بِغَمٍّ   دُسْتُورُ كُفْرٍ سَخِيفِ
مِنْ نَصِّهِ قَد تَّجَلَّىٰ   مَكْذُوبُ وَعْدِ السَّفِيفِ[١٤]:
«قُولُوا: نَعَمْ. إِنْ تُرِيدُوا   تَطْبِيقَ شَرْعِ الرَّؤُوفِ»
هَيْهَاتَ[١٥] هَيْهَاتَ وَعْدٌ   مِنْ ثَغْرِ شَيْخٍ نَتُوفِ[١٦]
سَاعٍ لِجَاهٍ وَ دُنْيَا   بِالْمُلْكِ -دَوْمًا- شَغُوفِ
زَعْمًا – يَقُولُ : ابْتَغَيْنَا   مَرْضَاةَ رَبٍّ لَطِيفِ
بَلْ قَدْ يَقُولُ : اقْتَفَيْنَا   هَدْيَ الرَّسُولِ الشَّرِيفِ
تَاللهِ مَا بَانَ إِلَّا   تَمْكِينُ نَهجِ الْخُلُوفِ
بَلْ ضَاعَ مَقْصُودُ شَرْعٍ   مِنْ حِفْظِ دِينٍ حَنِيفِ
مَعْ حِفْظِ نَفْسٍ وَنَسْلٍ   مَالٍ وَعَقْلٍ حَصِيفِ
فَالدِّينُ صَارَ ابْتِدَاعًا   مِنْ كُلِّ فَسْلٍ[١٧] وَصُوفِي

وَالنَّفْسُ فِي الْهَرْجِ هَانَتْ   وَاجْتُثَّ عِرْضُ الْعَيُوفِ[١٨]
وَالْغَصْبُ لِلْمَالِ جَهْرًا   أَضْحَىٰ بِشَتَّى الصُّنُوفِ
وَالْعَقْلُ .. هَلْ ثَمَّ عَقْلٌ؟!   أَمْ ذَا مَصَبُّ الْكَنِيفِ[١١]؟
مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ   يَمْتَصُّ فِكْرَ الْخُلُوفِ
حَتَّى انْسِدَادٍ فَطَفْحٍ   أُفٍّ لِرِيحٍ هَفِيفِ
مِنْ نَتْنِهَا لَيْسَ يُغْنِي   شَيْئًا زُكَامُ الأُنُوفِ
فِيهَا وَبَاءٌ عُضَالٌ[١٩]   يَجْتَاحُ كُلَّ الصُّفُوفِ
يَسْرِي بِسُمٍّ زُعَافٍ[٢٠]   فِي الْقَلْبِ حَتَّى الْوُقُوفِ
أَرْدَىٰ[٢١] أُلُوفَ الضَّحَايَا   عَفْوًا .. أُلُوفَ الأُلُوفِ
إِلَّا قُلُوبًا أَضَاءَتْ   وَسْطَ الضَّبَابِ الْكَثِيفِ
بِالطَّبْعِ حِينَ اسْتَنَارَتْ   مِنْ نُورِ هَدْيٍ شَرِيفِ
هَدْيِ كَرِيمٍ عَظِيمٍ   هَدْيِ النَّبِيِّ الْحَنِيفِ
مِنْهَاجُهُ مُسْتَقِيمٌ   دُونَ اعْوِجَاجٍ طَفِيفِ
أَصْحَابُهُ لَمْ يَحِيدُوا   عَنْ خَطِّهِ كَالْخُلُوفِ
أَوْ يَرْتَضُوا مِنْ بَدِيلٍ   عَنْ شَرْعِ رَبٍّ رَؤُوفِ
وَالتَّابِعُونَ اسْتَقَامُوا   مِنْ بَعْدِهِمْ فِي صُفُوفِ
عَبْرَ الْقُرُونِ اسْتَبَانَتْ   آثَارُهُمْ لِلْحَصِيفِ
فَالْمُحْسِنُونَ اقْتِفَاءً   مِنْ خَلْفِهِمْ كَالرَّدِيفِ[٢٢]
لَمْ يَخْلُ مِنْهُمْ مَكَانٌ   رَغْمَ اخْتِلافِ الظُّرُوفِ
أَوْ يَخْلُ مِنْهُمْ زَمَانٌ   رَغْمَ الصِّرَاعِ الْعَنِيفِ
وَالْيَوْمَ قَلُّوا ، وَلَـٰكِنْ   رَغْمَ اشْتِدَادِ النَّزِيفِ
بَاقُونَ رَغْمَ افْتِرَاءٍ   بَاقُونَ رَغْمَ الأُنُوفِ
تَأْبَى الصُّفُوفُ اكْتِفَاءً   عَنْ ضَمِّ ثَبْتٍ[٢٣] شَرِيفِ
إِنْ كُنْتَ تَرْجُو نَجَاةً   صِلْ فُرْجَةً فِي الصُّفُوفِ

(١٢) مات حَتْفَ أنفه : مات على فراشه بلا قتل. (١٣) يَرْبُو : ينمو. (١٤) السَّفِيف : اسم لإبليس – لعنه الله –. (١٥) هَيْهَات : اسم فعل ماضٍ معناه (بَعُدَ).

(١٦) نَتُوف : مُولَع بنتف لِحيته. (١٧) الفَسْل : الرَّذْل عديم المروءة. (١٨) العَيُوف : اسم أنثىٰ : صيغة مبالغة من العائف عن الشر والخنا . والمراد : المرأة العفيفة.

(١٩) عُضال : شديد معجز لا طِبَّ له. (٢٠) زُعاف : سريع القتل. (٢١) أَرْدَىٰ : أَهْلَكَ. (٢٢) الرَّدِيف : الرَّاكبُ خلف الرَّاكب . والمراد : تمام الاتِّباع.

(٢٣) الثَّبْت : الشجاع الثابت القلب ، العاقل الثابت الرأي.

وَاثْبُتْ وَكُنْ مُسْتَقِيمًا ... لا تَشْكُ طُولَ الْوُقُوفِ
فَالنَّصْرُ بِالصَّبْرِ يَأْتِي ... -حَتْمًا- بِعِزٍّ مُنِيفِ[٧]
حَتَّىٰ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ... أَبْشِرْ بِوَعْدِ الرَّؤُوفِ
لَوْ كُنْتَ فَرْدًا وَحِيدًا ... وَسْطَ انْتِكَاسِ الأُلُوفِ
فَالْزَمْ سَبِيلاً قَوِيمًا ... وَاهْجُرْ جُمُوعَ الْخُلُوفِ
إِنْ تَلْقَ مِنْهُمْ مُضِلاًّ ... كُنْ كَالأَصَمِّ الْكَفِيفِ
بَلْ فِرَّ مِنْهُمْ فِرَارًا ... مِنْ فَكِّ ضَبْعٍ مُخِيفِ
لا تُحْسِنِ الظَّنَّ يَوْمًا ... فِي قَلْبِ عَبْدٍ ضَعِيفِ
مَهْمَا تَزَوَّدتَّ عِلْمًا ... فَاحْذَرْ شِبَاكَ السَّفِيفِ[١٤]
مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ ... تُلْقَىٰ بِشَتَّى الصُّنُوفِ
مَنْ مَسَّهَا مُسْتَهِينًا ... قَدْ يُبْتَلَىٰ بِالْخُسُوفِ
أَوْ يَعْتَرِيهِ[٢٤] انْزِلاقٌ ... يُرْدِيهِ[٢٥] تَحْتَ الْجُرُوفِ[٢٦]
فَلْتَسْتَعِذْ مِنْ رَجِيمٍ ... -دَوْمًا- بِرَبٍّ لَطِيفِ
فَاللهُ خَيْرٌ حَفِيظًا ... مِنْ كُلِّ شَرٍّ مُخِيفِ
يَا رَبِّ فَاحْفَظْ وَسَلِّمْ ... مِنْ شَرِّ نَهْجِ الْخُلُوفِ
لَوْلاكَ رَبِّي لَكُنَّا ... عَوْنًا لَهُمْ كَالْوَصِيفِ[٢٧]
لَمَّا مَنَنْتَ اهْتَدَيْنَا ... لِلْحَقِّ وَسْطَ الزُّيُوفِ
بَصَّرْتَنَا فَاسْتَقَمْنَا ... وَالْجَمْرُ مِلْءَ الْكُفُوفِ
أَلْهَمْتَنَا فَاصْطَبَرْنَا ... رَغْمَ اشْتِدَادِ النَّزِيفِ
فَالْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا ... -دَوْمًا- لِرَبٍّ لَطِيفِ
مِلْءَ السَّمَاوَاتِ شُكْرًا ... يَا لَلإِلَٰهِ الرَّؤُوفِ !!
إِيَّاكَ نَدْعُو وَ نَرْجُو ... فَارْحَمْ رَجَاءَ اللَّهُوفِ
لا تُخْزِنَا وَاعْفُ عَنَّا ... وَاغْفِرْ خَطَايَا الضَّعِيفِ
رُحْمَاكَ يَا رَبِّ فَاصْرِفْ ... عَنْ مِصْرَ كَيْدَ الْخُلُوفِ
أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ وَبَاءً ... أَوْ خُصَّهُمْ بِالْخُسُوفِ
يَا رَبِّ طَهِّرْ بِلادًا ... مِنْ هَٰؤُلاءِ الْجُلُوفِ[٢٨]
وَارْحَمْ قُلُوبًا أُذِيبَتْ ... شَوْقًا لِشَرْعٍ حَنِيفِ
وَاحْفَظْ وَسَلِّمْ بَقَايَا ... خُدَّامِ دِينِ الرَّؤُوفِ
رَبِّ اجْزِ عَنَّا شُيُوخًا ... أَصْحَابَ عَزْمٍ شَرِيفِ
كَالأُسْدِ[٢٩] فِي الْحَقِّ؛ أَعْنِي: ... أَتْبَاعَ نَهْجٍ نَظِيفِ
نَهْجِ النَّبِيِّ الْمُصَفَّىٰ ... مِنْ أَيِّ شَوْبٍ خَفِيفِ
هُمْ فِي ثَبَاتٍ عَجِيبٍ ... لَمْ يُبْتَلَوْا بِالرَّجِيفِ
لَمْ يُفْتَنُوا كَالْحَيَارَىٰ ... أَوْ يَرْكَنُوا لِلْخُلُوفِ
لَمْ يَسْتَبِيحُوا خُرُوجًا ... بِالقَوْلِ أَوْ بِالسُّيُوفِ
لَمْ يَسْتَحِلُّوا حَرَامًا ... وَانْظُرْ لِطُهْرِ الْكُفُوفِ
مَا وُرِّطُوا فِي دِمَاءٍ ... بَلْ حَذَّرُوا مِنْ نَزِيفِ
مَا شَارَكُوا فِي احْتِجَاجٍ ... أَوْ فِي اعْتِصَامٍ سَخِيفِ
بَلْ عَلَّمُونَا اعْتِصَامًا ... -دَوْمًا- بِهَدْيٍ حَنِيفِ
وَاسْتَنْفَرُونَا لِعِلْمٍ ... كَافٍ لِكَشْفِ الزُّيُوفِ
حَتَّىٰ بَدَا الْحَقُّ شَمْسًا ... مِنْ بَعْدِ طُولِ الْكُسُوفِ
وَالصَّعْبُ بِالْعِلْمِ أَمْسَىٰ ... سَهْلاً ذَلِيلَ الْقُطُوفِ
فَلْتَجْزِهِمْ رَبِّ عَنَّا ... خَيْرًا كَثِيرَ الصُّنُوفِ
أَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَضَاعِفْ ... مِنْ أَجْرِ شَيْخٍ مُنُوفِي
أَنْعِمْ عَلَيْهِمْ فَكُلٌّ ... أَصْحَابُ فَضْلٍ مَشُوفِ[٣٠]
يَا رَبِّ زِدْهُمْ رُسُوخًا ... عِنْدَ اشْتِدَادِ الْعَصِيفِ
سَدِّدْ خُطَاهُمْ وَثَبِّتْ ... أَقْدَامَهُمْ فِي الْوُقُوفِ
وَامْنُنْ عَلَيْنَا جَمِيعًا ... مِنْ خَلْفِهِمْ فِي الصُّفُوفِ
وَالْطُفْ بِنَا يَا إِلَٰهِي ... فِي ظِلِّ تِلْكَ الظُّرُوفِ
سَلِّمْ وَسَدِّدْ وَثَبِّتْ ... حَتَّىٰ بُلُوغِ الْحُتُوفِ[٤]
رُحْمَاكَ !! فَاقْبَلْ دُعَاءً ... رُحْمَاكَ !! يَا لَلرَّؤُوفِ !![٣١]

---

(٢٤) يعتريه: يصيبه. (٢٥) يُرديه: يهلكه. (٢٦) الجُرُوف: جمع جُرْف، وهو شِقُّ الوادي إذا حَفَرَ الماءُ في أسفله. ويطلق أيضًا على ما يسقط من كُتل جليدية.
(٢٧) الوصيف: الخادم التابع. (٢٨) الجُلُوف: جمع جِلْف، وهو الجافي القاسي الغليظ الأحمق. (٢٩) الأُسْد: بضم الهمز وإسكان السين، جمع أَسَد.
(٣٠) مَشُوف: ملحوظٌ منظور. (٣١) تمت بحمد الله - تعالىٰ - [١٤٤ بيتًا] ليلة ١١ من ربيع الأول عام ١٤٣٤، وصلَّى الله على نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم.